الدراما التاريخية... بين الألق والاندثار

هل تشجع المعارك في الدراما التاريخية على العنف؟

هل يمكن أن تغني تلك الأعمال عن قراءة كتب التاريخ؟ ولماذا هي غائبة اليوم؟

من مسلسل «صقر قريش»

من مسلسل «ملوك الطوائف»

| مصعب أيوب

أضاءت الدراما السورية على مراحل عديدة من تاريخنا العربي والحضارة الإسلامية، فقدمت الكثير من الحالات الفنتازية والتوثيقية في بعض الأحيان لمرحلة ما، انطلقت تلك الأعمال من الكتب والروايات التاريخية، وقد كانت الأحداث الكثيرة والصراعات القائمة سابقاً تغري المنتجين وصناع الدراما لإنجاز هذه الأعمال، علاوةً على بعض الأعمال التي رصدت قصة حياة قائد عسكري أو أمير وسلطان.

صورة لائقة

في وقت سابق أجمع النقاد وأهل الصحافة على أن الدراما السورية تبنت التاريخ وقدمته بالصورة اللائقة وباستخدام التقنيات المبهرة واللقطات الساحرة وأكبر دليل على ذلك الجوائز التي كانت تحصدها.

وقد أنجز في سورية أول عمل تاريخي بعنوان «انتقام الزباء» لمحمود دياب والمخرج غسان جبري، وقد تتابعت الأعمال الدرامية التاريخية وتبعه سيرة بني هلال ودليلة والزيبق والجوارح والكواسر والأعمال الأندلسية «صقر قريش وملوك الطوائف وربيع قرطبة» والزير سالم وعمر وخالد بن الوليد والقعقاع بن عمر التميمي، وقد لاقت تلك الأعمال اهتماماً كبيراً وحصدت نسب مشاهدة عالية، ولكن اليوم اندثرت هذه الصناعة وبالتزامن مع بدء الأحداث الأخيرة والتي أعقبها استيلاء المجموعات المسلحة على بعض مستودعات شركات الإنتاج التي كانت تخزن فيها بعض التجهيزات والديكورات والملابس الخاصة بصناعة الدراما التاريخية، إذ إنها تختلف عن أي نوع درامي آخر أو ربما استولوا على أماكن لها خاصيتها التاريخية التي يتم الاستعانة بها، وبات الأمر أكثر تعقيداً وتكلفة وربما تكاليف باهظة جداً لإنتاج هذه المادة، وبالتالي فقد عزف كثيرون عنها، وهو ما أفسح المجال لأعمال تاريخية غير سورية أجنبية مثل قيامة أرطغرل وصراع العروش وغيرهما، وهو ما يؤكد اهتمام المتلقي بمعرفة التاريخ والاطلاع عليه واستكشافه ومعرفة ما الذي أفضى بهذه المنطقة إلى هنا.

عناء ومشقة

من المعروف عن الدراما التاريخية أنها بحاجة إلى أجواء صحراوية وبعيدة عن المناطق المأهولة والسكانية وبالتالي فإن صناعها يضطرون للسفر إلى محافظات بعيدة وربما إلى بلدان أخرى كالمغرب التي يتم تصوير أعمال تاريخية كثيرة فيها بسبب وجود مسافات صحراوية كثيرة وكبيرة فيها وبسبب وجود بعض القصور التاريخية والأبنية الأثرية التي يمكن استخدامها في العمل، كما يتم في الدراما التاريخية الاستعانة بالجموع والأعداد الكبيرة من الكومبارس وهو ما يصعب على المخرج ومساعده التحكم بكل هذا العدد من الأشخاص، إضافة إلى المهن الكثيرة اللازمة لذلك من خياطة ألبسة من نوع خاص وتعديلات في الوجوه والشعر بطريقة مختلفة وكذلك الخيول والجمال وتأمين عدد كبير من السيوف والرماح وما إلى ذلك، فإن كل ما سبق ربما يكون عائقاً كبيراً في سبيل تقديم مادة درامية تاريخية متقنة ومقنعة، وهو ما كشفه المخرج السينمائي يزن أنزور مشيراً إلى أن طبيعة الأعمال التاريخية تفرض على منتجها أن يفكر ملياً ويجري حسابات دقيقة قبل الخوض في هذه التجربة بحيث أنها تتطلب مبالغ مالية هائلة وجهة إنتاجية قوية، منوهاً بأنه قدم مؤخراً كثيراً من المحاولات ولكن بطبيعة الحال كان يتم توجيه هذه المحاولات بسبب طبيعة الصراعات التي تشهدها المنطقة، فلم تكن لهدف درامي سردي ومن أجل الاحتفاء بالتاريخ العربي العريق أو قادته العظماء.

اتجاهات ورغبات

كما بين مخرج فيلم الصليب المكسور أن الدراما التاريخية تأثرت مؤخراً بشكل أو بآخر وذلك لعدة أسباب، ولعل أهمها طبيعة الصراعات التي تشهدها المنطقة مؤخراً والتي تعددت أشكالها بين السياسي والعرقي والديني وما إلى ذلك، وهو ما جعل صناع الدراما من مؤلفين ومنتجين وحتى فنانين يبتعدون عن إثارة الفتن من خلال تلك الأعمال والتي ربما تثير الكثير من الإشكاليات وإشارات الاستفهام، ولكي لا يصنف الدراميون على أنهم إلى هؤلاء أو أولئك أو غيرهم.

وركز على أن اتجاهات جيل الشباب تتمحور حول الواقع المادي والاقتصادي ورغبتهم في مواد درامية وسينمائية تعبر عن آلامهم وتطلعاتهم أو ربما مادة ترفيهية، أكثر من مواد تتجلى فيها قصص تاريخية مضت وانتهت، وهو ما رفضه أنزور مبيناً أنه علينا الاستئناس والاستفادة من التاريخ الذي يعيد نفسه والتعلم من تجارب الأسبقين وربما استطعنا الخروج من هذه المرحلة الصعبة لمستقبل أفضل.

تاريخ عريق

وأردف أنه يمكن لجيل الشباب اليوم أو أي شخص عادي بضغطة زر واحدة أن يصل إلى ما لا يمكن أن يتخيله عقل وكل من يقصد شيئاً يستطيع الوصول إليه بسهولة بواسطة الشبكة العنكبوتية، فيتابع جلهم الدراما والأفلام الأميركية والتي تكاد لا تخلو من شتى مظاهر القتل والدماء، فلا يمكننا أن نقرر أن الأعمال التاريخية والمشاهد الدموية تثير شهية القتل والعنف لدى المتلقي، أو نعتبرها مروجةً للعنف، فهو موجود شئنا أم أبينا ولا يمكننا نكرانه، ولا ضير إن تطرقنا له بطريقة تاريخية لبقة وراقية تحترم عراقة تاريخنا وعقول متابعيه.

مبيناً أنه يطمح دائماً لتقديم أعمال تاريخية تحتوي أفكاراً متميزة وبأسلوب عبقري يضاف للمكتبة العربية والثقافية ويمكنه أن يواكب العصر والفترة الراهنة.

تكلفة عالية

وعن ذلك يقول الكاتب والمخرج نعيم الحمصي «الدراما التاريخية هي من أكثر الأعمال كلفة إنتاجية وأكثر الأعمال التي تحتاج إلى الكثير من النجوم والكثير من المواقع إضافة للوقت الطويل جداً للتحضير والتنفيذ».

وفي الوقت الراهن هي بحاجة إلى اجتماع عدد من شركات الإنتاج للقيام بها وبالطبع فتلك الأعمال لا تغني أبداً عن القراءة فهي بالنهاية خاضعة لوجهة نظر الشركة المنتجة أو الكاتب أو المخرج وليس من الضروري أن تكون رؤياهم هي الأصح.

السيرة الهلالية

مؤخراً وقبل عدة أيام بدأ عرض المسلسل التاريخي الأضخم على حد وصف صناعه «الوعد» على إحدى المنصات الاجتماعية قصة وسيناريو وحوار ناصر عبد الرحمن وعبد الرحيم كمال، والذي استغرق تصويره نحو خمسة أشهر ويروي بعض القصص من السيرة الهلالية، وهجرتها المشهورة التي وثقت في آلاف الأبيات الشعرية، وهي تعد من الموروث الشعبي العربي، ويشارك في بطولة العمل عدد من النجوم العرب منهم التونسي زياد التواتي الذي يؤدي دور أبو زيد الهلالي، والأردني نضال نجم بدور رزق الهلالي، والمغربي محمد مفتاح بدور غانم الأحمر، والأردني خالد نجم بدور دياب بن غانم، والسعودي عبد المحسن النمر بدور الزناتي خليفة، ومن المقرر أن يكون عرضه على أربعة أجزاء من النوع القصير «من٨٠إلى١٥ حلقة».

أعمال فانتازية

محلياً، وحتى اليوم لم يتم الإعلان عن أي عمل درامي سوري يحمل الطابع التاريخي مع اقتراب شهر المراثون الدرامي الرمضاني وهو ما بات متكرراً لعدة أعوام بعد أن كانت الدراما السورية تحفل في كل موسم بعمل أو اثنين تاريخيين، وبات يتم الاكتفاء بأعمال البيئة الشامية أو الفنتازيا التاريخية التي لا يحدد فيها زمان ومكان الحدث ليتم اعتمادها في أي وقت، فهل تشهد دراما عودة للألق في هذه الصنعة كما كان في سابق عهدها؟ أم إن تاريخها بات من الماضي واندثر ولا حاجة لنا فيه؟

> هل تكتفي الدراما السورية بأعمال البيئة الشامية والفنتازية التاريخية؟

من مسلسل «ربيع قرطبة»

مسلسل «بيت أهلي» في رمضان

أيمن زيدان وسلوم حداد وجهاً لوجه بعد ١٢ عاماً

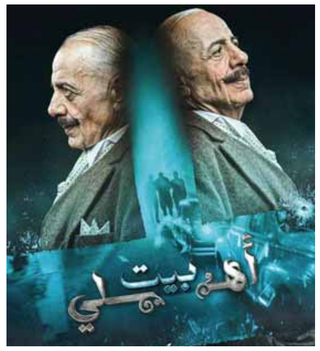

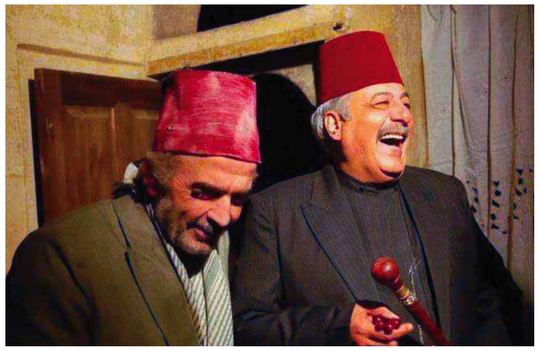

| وائل العدس

يستمر المخرج تامر إسحق بتصوير مسلسل «بيت أهلي» في دمشق لعرضه خلال الموسم الدرامي الرمضاني، وهو من تأليف فؤاد شربجي وبطولة كوكبة من النجوم وعلى رأسهم النجمان الكبيران أيمن زيدان وسلوم حداد.

يستعرض العمل حقبة الأربعينيات في سورية، وتتناول أحداثه صراعاً بين شخصيتي (نوري/أيمن زيدان) و(أبو عدنان/سلوم حداد)، فيتطور هذا الصراع بعد خروج الأول من السجن، ويصبح أحد العناصر الرئيسية في الحبكة الدرامية للمسلسل.

ويتناول العمل قضايا اجتماعية وثقافية في سورية، مع التركيز على مدينة دمشق، وأحداثاً هزت العاصمة حينها، ويتميز المسلسل بتقنية توثيقية تبدأ مع اغتيال الطبيب عبد الرحمن الشهبندر، وتتابع مع أحداث مهمة مثل تظاهرة جنازته، وتستكشف التداعيات السياسية والاجتماعية لهذه الفترة، مع الاعتماد على الطقوس الشامية وأجواء الحارة، مع الابتعاد عن الأسلوب الرائج، متبنياً تقنية كتابة جديدة تعرف بـ«تقنية الرواية التلفزيونية»، يعكس المسلسل تجربة فريدة تمزج بين الدراما النافعة والابتعاد عن التفاهة، ما يجعله يتماشى مع الطابع الرمضاني ويميزه في عالم المسلسلات الشامية.

البيئة الشامية في العمل وصفها كاتبها بالـ«ناضجة والحية»، يتفاعل فيها الحب مع الشر.

ويقدم العمل عدة خطوط تشويقية ورومانسية وطريفة وكوميدية، ويروي قصصاً عن الحب والجريمة والانحلال والغرائز والأطماع، لتجتمع كل هذه الحكايات في رواية واحدة.

ويعد هذا العمل ثالث أعمال البيئة الشامية بعد الجزء الثاني من مسلسل «العربجي» ومسلسل «عزك يا شام»، في وقت أعلن فيه تأجيل الجزء الرابع عشر من مسلسل «باب الحارة» إلى الموسم المقبل.

صراع النجوم

يشهد العمل صراعاً بين اثنين من أهم نجوم الدراما السورية منذ نهضتها مروراً بعصرها الذهبي وحتى اليوم هذا، حيث يحضر أيمن زيدان وسلوم حداد في عمل واحد بعد ١٢ عاماً من لقائهما الأخير، علماً أن «بيت أهلي» يشكّل الحضور المشترك السادس بينهما.

ويعود آخر اجتماع بينهما إلى عام ٢٠١٢ عندما حضرا في مسلسل «زمن البرغوت» مع المخرج أحمد إبراهيم أحمد بشخصيتي «أبو وضاح» و«أبو نجيب».

أما الأعمال التي سبق وأن التقيا فيها فهي بداية مسلسل «حصاد السنين» عام ١٩٨٥ مع المخرج علاء الدين كوكش بشخصيتي «مصطفى» و«أحمد»، ثم مسلسل «الخشخاش» عام ١٩٩١ مع المخرج بسام الملا والكاتب فؤاد شربجي بشخصيتي «تيسير» و«صالح»، يليه مسلسل «سكان الريح» عام ١٩٩٢ مع المخرج محمد بدرخان بشخصيتي «عادل» و«صبحي»، وأخيراً مسلسل «الدوامة» عام ٢٠٠٩ مع المخرج المثنى صبح بشخصيتي «حسين طرواح» و«الضابط وهيب».

في رصيد زيدان أعمال شامية عدة، منها «الكندوش، زقاق الجن، زمن البرغوت، حرائر، باب الحارة، لك يا شام».

ومثله حداد أيضاً ومن أعماله الشامية: «العربجي، سوق الحرير، جوقة عزيزة، خاتون، وردة شامية، صدر الباز، الأميمي، زمن البرغوت، طالع الفضة، حمام القيشاني، شجرة النارنج».

عودة بعد غياب

يعتبر فؤاد شربجي من أوائل كتّاب الدراما الشامية، فبعد غياب دام عشرين عاماً، يعود للكتابة الدرامية ليقدّم عمله الجديد بعد آخر مسلسل كتبه وهو «الداية» للمخرج بسام سعد عام ٢٠٠٣.

كما كتب للدراما السورية مسلسلات شهيرة منها «أبو كامل» على جزأين للمخرج علاء الدين كوكش عامي ١٩٩١ و١٩٩٢، و«الخشخاش» للمخرج بسام الملا عام ١٩٩١، و«بنت الضرة» ١٩٩٧، للمخرج بسام سعد و«النصية» للمخرج غسان جبري عام ١٩٩٨.

أما المخرج تامر إسحق فيعد أحد أبرز المخرجين الذين قدّموا أهم المسلسلات الشامية منذ انطلاقتها الأولى، محققاً نجاحات مهمة في حارات الشام ودكاكينها وبيوتها.

المخرج الذي قدّم الكثير من هذه المسلسلات، منها: «الدبور» عام ٢٠١٠، و«الأميمي» عام ٢٠١٢، و«زنود الست» عام ٢٠١٤، و«صدر الباز» و«خاتون» ٢٠١٦، و«وردة شامية» عام ٢٠١٧، و«الحرملك» عام ٢٠١٩، و«جوقة عزيزة» عام ٢٠٢٢، و«زقاق الجن» عام ٢٠٢٣.

> يتميز المسلسل بتقنية توثيقية تبدأ مع اغتيال الطبيب عبد الرحمن الشهبندر

برجك اليوم 02/26

نجلاء قباني

الحمل

انتبه إلى أمورك الصحية لأنك من الأشخاص الذين ينسون أنفسهم في العمل من دون أن ينتبهوا إلى جرس الإنذار الذي يدق داخل أجسامهم للراحة فانتبه لأن جسمك يحتاج الراحة. عاطفياً: أمورك العاطفية جيدة لأنك تشق طريقك نحو حياة أسعد وأطول وأكثر ضجة، يضحكك تفاؤلك وهذا الشهر سيحمل الأفراح.

الثور

تأكد أن العزلة لن تفيدك بالعكس التواصل الدائم مع المحيط هو ما يفيدك وقد تفتح لك أبواباً عديدة فأنت توسع قاعدتك الشعبية وتستقطب الأنظار وتتمتع بالمحبة والتأييد وتُحدث بأمورك أشخاصاً تثق بهم وبرأيهم السديد. عاطفياً: أمورك العاطفية جيدة لأنها فترة للارتباط والتعارف وخاصة في سفر فأنت تتعرف على أناس جدد وعلاقات تسعدك وقد تتصالح مع أشخاص أنت تحبهم.

الجوزاء

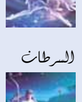

لا يلزمك اليوم أكثر من أن تبتعد عن النزاعات والخلافات وأن تترك مسافة بينك وبين الآخرين حتى يعود الهدوء والانسجام فالأمور العامة مقلقة وربما تحمل لك الحزن أو الضيق أو القلق.

عاطفياً: قد تمر بعض اللحظات المتوترة لكنها غيمة عابرة فلا تسمح لها بتهديم كل ما بنيته.

السرطان

إذا كنت وحيداً فقد تلتقي بشريك جديد يعطيك الحب والدعم الذي تحتاجه فاستغل الدبلوماسية واللّيونة التي تمنحها لك الكواكب في تطوير علاقاتك.

عاطفياً: أمورك العاطفية هي الأفضل هذا الشهر وقد تكون مصدر سعادة ومصدر ألق وفرح فلا تجعل مضايقتك تفسد عليك فرحك بالعثور على من يفهمك أو يحبك.

الأسد

لا تفكر أن ترتجل في موقف أو قرار أو عملية تجارية أو شرائية استشر وتمهل وانتبه إلى أمورك المالية فربما تفكر بطلب سلفة أو تمويل أو تستعيد حقاً أو ديناً وطلباتك تستجاب بسهولة ويسر.

عاطفياً: الشهر جيد جداً للعثور على شريك عاطفي أو لترتيب أمورك العائلية والزوجية باتجاه الأفضل.

العذراء

شهر جيد للقرارات وقد يعرض عليك أكثر من مشروع جديد بوجود الطاقة والحماس والرغبة في التغيير فيك ومن حولك يجعلك تحول الصعب إلى واقع موجود تعيشه.

الأمور العاطفية تحمل إشراقاً يغمرك ويمنحك الحرية والفرح والثقة بنفسك بإمكانياتك الخاصة.

الميزان

قد تستاء من عدم أمانة أو من بعض الأكاذيب حولك من أشخاص أنت تثق بهم أو ينتابك الحزن نتيجة أخبار تسمعها وقد تعاني من انقطاع اتصالات مع أشخاص تحبهم.

عاطفياً: أنت عصبي أو مستفز من تفاصيل صغيرة وقد يضايقك التدخل أو النصائح.

العقرب

اليوم للسعادة الحقيقية فيه تعارفٌ وأناس متفائلون ومرحون وضجة وحركة وذات نتائج إيجابية ومناسبات وفرص يجب أن تستغلها وتستعيد قدرتك على الظهور نجم في محيطك يستقطب الأنظار.

عاطفياً: أنت في الفترة الأفضل للارتباط أو لتجد أن العقل والقلب يتفقان من أجل إحداث تغير أفضل لحياتك.

القوس

هذا يوم فيه أجوبة قد تسبب ارتباكاً أو حيرة أو تشوشاً في الرؤيا فكن أقل حساسية وحافظ على صحتك ولا تستهتر بأي إشارة وابتعد عن النزاعات والعدائية والعنف.

عاطفياً: عالج أي وضع طارئ ولا تترك مجالاً للشكوك والالتباس لأنك مكتئب أو مزاجك سيئ.

الجدي

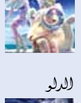

أنت تملك القوة والرغبة في التخلي عن العادات والناس والظروف المعرقلة والبدء من جديد بقوة أكبر وبدعم من المحيط فهذه الأيام للأخبار الإيجابية.

عاطفياً: قد تسعى لتمتين علاقتك بالشريك العاطفي وقد تفرح لخبر سعيد يخصك أو يخص أحد الأشقاء أو الأهل أو الأصدقاء.

الدلو

المحيط يمنحك الإطراء والمساعدات فهذه أيام للأفراح ولاستقطاب الدعم والمدح وليحالفك الحظ في قضية تشغلك تسمع الكثير من المدح وحولك المساعدات والتأييد وأياد تمتد لمعونتك.

عاطفياً: الآخَرون هم مصدر السعادة لك سواء على الصعيد الاجتماعي أم الشخصي أو العائلي.

الحوت

قد تضخم أمورك الصغيرة واستشر من تحب وكن لطيفاً في التعامل أو في الحوار فالعقبات قد ترافقك اليوم أو تأجيل ما اعتزمت القيام به كن صبوراً وهادئاً.

عاطفياً: تحاول البعد عن كل ما يزعجك من تصرفات مزعجة أو نقد أو مؤامرات.